الدكتور ابرهيم

رواية مصرية لجون تل

عرض ونقد[1]: للدكتور ابرهيم ناجي

يسرني السرور كله ان أحاضركم هذه الليلة في كتاب المستر تل النفيس الذي عنوانه « الدكتور ابراهيم » . وعليَّ ان اوجه الشكر الخالص الى جمعية الشبان المسيحية التي اتاحت لي هذه الفرصة . فقد حاضرت في ندوتها قبلاً في ولز وبرغسن ولخصت في فرصة اخرى رواية المستر مورغن المشهورة باسم « الينبوع » . ولكنني لم احس قبلُ بما احس به الآن من رغبة شديدة في التحدث امامكم عن كتاب المستر تل . ان هذا الكتاب يستهويني من نواحٍ عديدة. فاسم بطله شبيهٌ باسمي . وصناعته صناعتي ، وفي حياته حوادث تشبهُ ما وقع لي ، علاوة على اشتراكنا في الميل والنزعة والسعي الى المثل الاعلى

ان رواية المستر تل قطعة نفيسة من الادب اخرجها قلم كاتب مالك لفنان التأليف الروائي . الاّ انها علاوة على ذلك يجب ان تستوقف نظرنا نحن المصريين ، من ناحية أخرى . فهي كتاب فينا وضعهُ أجنبيٌّ عاش بيننا سنين كثيرة فهو يفهمنا ويشاركنا في شعورنا ومصلحتنا ، ثم انهُ منزّهٌ عن الهوى . فانتم في هذا الكتاب من اول صفحة الى آخر صفحة في صحبة صديق صدوق . تستطيعون ان تحسّوا لمس يده الرفيقة ، حتى اذا وصف عذاب الدكتور ابرهيم رأيتم مواجع نفسه وعمتم انينهُ . الاّ انهُ لا يصانع في كل هذا . انهُ صريح احياناً إلى حدّ القسوة ، وبوجهٍ خاص عند ما يكشف عن مواطن ضعفنا ونقائصنا ، او عند ما يتكلم عن المرأة المصرية ويبثّ رأيهُ في عجزها عن النهوض . قد لا نشاطرهُ كل آرائه الاّ انهُ لا يسعنا الاّ الشعور بان هنا قلباً كبيراً يخفق في كل سطر خفقة الفهم والمشاركة

سألخص لكم هذه القصة ، لكي يلمّ بمجملها ، من لم تتح لهُ مطالعتها حتى الآن . الاّ انني اخشى ان يشوّه هذا التلخيص جمالها ، ولذلك سأعمد في خلال التلخيص الى اقتباس بعض فقراتها وعباراتها الممتازة

---

(١) ان الدكتور ابرهيم ناجي حاضر باللغة الانكليزية في هذا الموضوع وتكرم علينا بما نقلناه في الصفحات التالية

كان الكتاب الاجانب الذين يكتبون عن مصر ، ينقسمون الى طوائف تجتمع في حقيقة واحدة واضحة وهي انهم لم يفهمونا مطلقاً . فالطائفة الاولى مؤلفة من جماعة الكتاب السياسيين وهؤلاء كانوا يعالجون الناحية السياسية من القضية المصرية ويهملون روح الامة . عاش بعضهم بين ظهرانينا ولكنهم لم يتصلوا الا بطبقة السراة والاعيان . عاشوا هنا معيشة ترفع فجهلوا كل ما يجب ان يعرفوه عن الفلاح والنساء « ورجل الشارع » . لذلك اهملوا هذا العنصر العظيم المقام في حياة الامة ، عندما كتبوا عن مصر . اما الطائفة الثانية فجماعة المراسلين الصحافيين وهؤلاء في الغالب يجمعون حقائقهم من التراجمة الذين يحومون حول شبرد والكونتننتال وكوك او من صديق في حفلة شاي خاصة او من شيع الاحزاب . والغالب ان تكون معلوماتهم غير مستندة الى اساس صحيح او منزهة عن الغرض . ثم هناك جماعة السياح . فهؤلاء يكتفون بجولة حول الاهرام على ظهور الجمال او بزيارة للاقصر وخان الخليلي ، ثم يغادرون مصر وهم يعتقدون انهم عرفوا مصر وتغلغلوا في فهم اسرارها

ولكن المعلومات التي جمعها المستر تل ، صحيحة ، على الرغم من بعض اخطاء يسيرة تطرقت الى صفحات كتابه ، ولكنها لا تنتقص بحال من الاحوال المستوى العالي الذي بلغهُ فيه

وهذه الرواية ، مفرغة في قالب ترجمة ، ترمي الى غرض خلقي . وقد تغلبت النزعة الخلقية في الفصول الاولى حتى ليكاد القارىء ان يسأمها ، ولكن لا يلبث الفنان في شخصية المؤلف أن يسيطر على السياق ، فيحل الوصف البارع لشخصيات الرواية ، محل الوعظ والارشاد . وعند ذلك يصبح الكتاب وكأنهُ قطعة من الحياة . فاذا ألقيتهُ من يديك أحسست ان المستر تل قد ادرك غرضهُ ، وهو طبع شخصية الدكتور ابراهيم في قلبك مدى حياتك . فليس في وسعك بعد الآن الا ان تذكر الطبيب المصري الذي لم يحل فقرهُ بينهُ وبين النبل والمروءة . ولا ريب في انك لن تنسى المثالي المصري الذي كافح الارتكاب والضعف والحيوانية

هنا يعترضنا سؤال : هل يجب ان يكون لاي رواية هدف خلقي ؟ وفي الرد عليه لننظر اولاً في الرواية وما هي . فقد وُصفت الرواية بأنها شكل دمقراطي من أشكال الفن . وهذا يميزها وبين أشكال الفن الاخرى كالموسيقى والتصوير . فهما أرستقراطيان ولا بد أن يبقيا كذلك على الرغم من المساعي التي تبذل لتقريبها من الجمهور . كل انسان يستطيع ان يقرأ رواية او ان يذهب لمشاهدة رواية على لوحة الصور المتحركة ، ولكن التمتع بموسيقى يتوقف او تصوير وقائع ليس في متناول كل احد

وقصة الرواية مبنية على حقائق نفسية عامة . فأعمال الناس جميعاً نتيجة رغبات أولية داخلية يشترك فيها جميع الناس . ولكنها تختلف بين الحدة والضعف في مختلف الناس . وهذه

الرغبات ليست بحد ذاتها صالحة ولا طالحة . انما هي لازمة للجنس ابقاء له وحفظاً عليه . وكل ما هنالك ان الامر يتوقف على الاساليب التي تحقق بها هذه الرغبات . وفي بعض الاحيان يتوقف الامر على مقدار ما نكبت من رغباتنا لعجزنا عن تحقيقها . هنا ميدان واسع لنفسية الرواية . فالبطل — او البطلة — يحقق في سياق القصة او على لوحة الصور ، ما يتعذر علينا تحقيقه في حياتنا ، فنضع انفسنا محل ابطال القصص او بطلاتها ، من غير وعي ، ونجني من ذلك لذة خاصة ، او نحمل على طلب المزيد من قراءة القصص او مشاهدة الافلام ، مبالغة في هذه المتعة النفسية

هذا هو التفسير لاقبال الناس جميعاً على الرواية ، وهذا هو الباعث على ابداع بعض ما يتفق مع ما يسلّي ، في الروايات من اقدم العصور . ولكن لنأخذ مؤلفاً عظيماً كتولستوي في رواية « آنا كرنينا » . ان الصور التي رسمها تولستوي في روايته خالدة ولكن العبر الخلقية او الاجتماعية التي اراد التبشير بها واذاعتها قد طواها النسيان . ان هذه الآثار من الآيات الروائية الخالدة لما فيها من الوصف البارع للوسط ، وللشخصيات ، وللفجيعة ، علاوة على انها صادقة في تصوير الحياة . كان الغرض من الرواية ولا يزال — من رواية العهد الفكتوري بنزعتها الخلقية وعقدتها الآخذة وترترتها احياناً ، الى فن جويس وفرجينيا وولف المعقد — كان الغرض ولا يزال تصوير الحياة تصويراً صادقاً . وهذا هو سرّ الخلود في فن الرواية . كانت المدرسة القديمة تعنى بهندسة الرواية ، واختيار حوادثها وترتيبها ، ولعلّ رواية بنيت « قصة الزوجات العجائز » ورواية فلوبير « مدام بوفاري » من افضل الامثلة على ذلك . ولكن المدرسة الجديدة ، ترى ضعفاً في هذا البناء ، وتأخذ على كتّاب الجيل المتقدم من امثال بنت وولز انهم يرون الحياة ، عربة سائرة على طريق طويلة ضيقة ، وان حوادثها اشبه ما يكون بأعلام الطريق تتوالى بعضها في اثر بعض

ويؤكد ابناء العصر الجديد ان الحياة ليست كذلك ، بل هي كالحقل الفسيح ، وان الروائي يجب ان يملك النظر المشارف ، كأن عينه عين الطير المحلق ، يرى الحقل تحته رقعة واحدة

ومما يأتون في ذكره عند الاشارة الى الشعر وتأليف الروايات ان الشاعر والروائي يجب ان يتذكّر ان الحياة والعقل دائماً التغيّر والتحوّل وان غرض الفنّان يجب ان يكون تتبع مراحل هذا التغيّر وتدوينها . الاّ ان لورنس (D. H.) نسيج وحده ، ويعتقد ان عمل الرواية يجب ان يكون تتبع التفاعل بين بطل الرواية والحياة . وقد استنبط جويس ما دعاه « معجم الاحلام » وله الآن اتباع ومقلّدون . واني آسف اشدّ الاسف ان ضيق الوقت يمنعني من تتبع ارتقاء الرواية الحديثة

من الصعب ان نعيّن المدرسة التي ينتمي اليها مؤلف الدكتور ابرهيم . ان لهُ في روايته غرضاً خلقيّاً ، وهو يكتب بأسلوب مدرسي . وهذه سمة الرواية في العصر الفكتوري. ثم ان الرواية من قبيل السيرة او الترجمة ، وتصف التفاعل بين البطل وهو الدكتور ابرهيم ، والحياة المصرية. فهو في هذا يمتّ الى لورنس . وعلاوة على ذلك للرواية بناء متقن ، والحوادث فيها تتوالى وتوصف وصفاً بارعاً . هنا نلمس فلوبير وبنت . ورأيي الخاص ان المؤلف تخيّر احسن ما وجدهُ في المدارس المختلفة ، مع ان هناك ما يدلُّ ان يفضل المدرسة الفكتورية اسلوباً وهدفاً

***

فلننظر الآن في الرواية نفسها . ولد ابرهيم في اسيوط من والدين قبطيين فقيرين . وكان ابوهُ عطّاراً ، يبيع النباتات الطبية وامهُ سيدة مسيحية طيبة القلب . مرض لما كان في السادسة من عمره ، فعالجهُ حلاّق نكاد يقتلهُ بعلاجه . والحلاّقون في القرى ، بمثابة مجرمين ، يرتكبون جرائمهم في خفية وسكون . وكل سعي يبذل لترقية صناعة الطب ، وتنقيتها من القذر والتدجيل ، يجب ان يتناول الحلاّقين في غير رفق ولا هوادة

وذهب ابرهيم الى مستشفى في احد الايام فرأى المرضى يضربون على بابه فبذرت حينئذٍ في نفسه بذرة التململ والثورة . وكأنهُ عزم من ساعتها ان يصبح « حكيماً » . وتأيد هذا العزم في ذهنه عند ما زار مسلخاً حيث رأى الحيوانات تقتل بقسوة تثير الشفقة ، وهناك تلقى درسهُ الاول في التشريح على شلو احد تلك الحيوانات

وشاء القدر ان يسخو على والدهِ فورث بضعة جنيهات من قريب متوفّى . فبعث بابرهيم الى المدرسة، وبعد ما اتمَّ ابرهيم دراستهُ الابتدائية والثانوية ، جهز بالملابس وبقليل من المال وارسل الى القاهرة ليشرع في دراسة الطب . هنا ينتهي فصل الرواية الاول وعنوانهُ « اسيوط». ولكن قبل ان ننتقل الى الفصل الثاني ، اودُّ ان انقل اليكم بعض الفقرات المختارة من مذكرات الدكتور ابرهيم . واليكم هذه الفقرة عن الانكليز :

« سأقول لاخواني المصريين ان الانكليز لا يفوقوننا ووجودهم في بلادنا عمل من اعمال الوحشية الامبراطورية منتزع من تفكير فاسد . ولكن لا تجادلوهم لان الجدل عقيم » ، او خذوا هذه الفقرة عن الامتيازات: « اشكر لك حمايتك ايها الانكليزي . نحن عميون ولذلك يتاح لقطّاع الطرق الاجانب أن يطلبوا بلادنا للمتعة » . أو خذ أيها القارىء هذا النصح الرشيد يلقيه والد ابراهيم على ابنه وهو يغير ملابسه : « لا تدع هذا التغير إن يحملك على نسيان نفسك، وعند ما تلبس هذا الرداء ليعلم الاجانب منك انهم لم يغيروا منك الاّ مظهرك الخارجي ، وانهم لم يمسّوا شيئاً في دخيلتك »

ونرى ابرهيم ، في الفصل الثاني ، ذاهباً إلى القاهرة بقيّاسة في النيل وعلى ظهر القيّاسة

يجري عمليته الجراحية الاولى اذ يضع خراجاً عميقاً في سيدة بعد ان يشخصه التشخيص الصحيح فتتنبأ له العجوز بمستقبل باهر وانه سيصبح رجلاً عظيماً . قالت : اني ارى قلادة من الذهب حول عنقك . ولكن فيها حلقة غير ذهبية . وفي هذه الحلقة زهرة . هي هذه الحلقة التي سوف تتكسر ، فتنفصم القلادة . وعبثاً تبحث عنها ولن تجد الا الزهرة . فتحتفظ بها الى آخر حياتك

وكان قد فشا حينئذ وباء الهواء الاصفر على مقربة من اسيوط فيعترض رجال البوليس القيّاسة للحجر الصحي . فيلتقي ابرهيم هناك بطبيب الصحة الذي وكل اليه مكافحة الوباء . هذا هو الدكتور جاد الله . وهو رجل نبيل . فيقع من نفس ابرهيم موقعاً عالياً ، فيتبرع في الحال لمساعدته في عمله الانساني العظيم . كان الوبأ كالعاصفة المكتسحة ، والناس يسقطون موتى ، أكداساً فوق أكداس . ولم تكن الوسائل الصحية وافية فيمرض ابرهيم ويعالجه الدكتور جاد الله وينقذ حياته ، ولكن الدكتور يقع فريسة المرض بعد ذلك ويلقى حتفهُ . ان وصف المشاهد في هذا الفصل من الكتاب من أبلغ ما يكون ، واني لم اقرأ ما يضارعها الا فصولاً في كتاب اكسيل مونتي الموسوم « قصة سان ميشيل » حيث يصف وبأ الهواء الاصفر في ايطاليا

يحس ابرهيم بعد وفاة الدكتور جاد الله بألم الوحدة . هاهو ذا عليل لا يملك من الدنيا الا اسمالاً بالية . لقد سرقت ملابسه ونقوده في خلال مرضه . فماذا يفعل

سار الى اقرب قرية وارتمى في ظل جدار ليصيب قليلاً من الراحة ، فلقي هناك الفتاة القروية عزيزة ، التي ربط مصيره بمصيرها

فاستقبل ابرهيم في دار عمها ، بما عرف عن سكان الصعيد من كرم الوفادة . ولكن زهرة الحب اخذت تنمو في قلبي ابراهيم وعزيزة . وكأني بالمستر تل ينسى ان مشهد هذا الجانب من الرواية في الصعيد ، فيذكر ان الفتى والفتاة كانا يستلقيان على الارض جنباً الى جنب . فالتقاليد المرعية في الصعيد ، تحول دون هذا الاتصال الوثيق بين فتى وفتاة دع عنك فتاة مسلمة وفتى قبطيًّا غريباً . واذا حدث هذا فاما ان يقتل الاثنان او يطردا من القرية في غلالة من العار

وكان سيدّ القرية سريّ يحمل لقب باشا . وقد وصفهُ المؤلف بما يلي : « اجتمع القرويون وصفقوا . ولكن الباشا كان لا يفكر في احد منهم . انهُ لم يرَ المصابين منهم بأمراض العيون او فقر الدم او تضخم الطحال . بل مضى على متن دابته مترضاً عنهم جميعاً وهو لا يفكر الا في نفسه » . وكان للباشا ولد وحيد ، يدعى عباس ، كان ضخم الجثة ، فاسد الخلق وهو يذكرني بشخصية النذل التي وصفها هاردي في كتابه العظيم « تس » . نظر الى عزيزة فحسنت في عينه ، وبايعاز منه أصدر الباشا امره الى عمها لكي يبعث بها الى قصره خادمة فيه . فيتفق ابرهيم وعزيزة على الفرار . ولكنهما

لا يلبثان حتى تكشفهما عيون عباس . فيهال اسيون عليهما ضرباً وتنزع عزيزة من ذراعي حبيبها

فاذا كان الفصل الثالث نجد ابراهيم وقد بلغ القاهرة ، وشرع في دراسة الطب ولكنهُ يعيش في حي فقير من احياء العاصمة ، في غرفة قذرة حقيرة في السيدة مع صديقه الشركسي ابو بكر . الفقر مخيم على معيشتهما ، فيعمدان الى اساليب بارعة في سبيل الخبز . ولكن نفس ابراهيم تتمرد ابداً على هذه المعيشة ، فيبحث عن طريقة تمكنه من كسب الرزق بعرق الجبين فيفتح مدرسة يعلم فيها اطفال الحي الفقراء لقاء جعل شهري صغير . وفي مقدمة ما يبثهُ في نفوسهم حب النظافة وحب الوطن . ويعمد الى التكرار والايحاء في طبع هذه المبادىء في الواح نفوسهم الحساسة . الا انهُ يساق في احد الايام الى القسم بتهمة التعليم من دون رخصة . ولكن الباعث الحقيقي على القاء القبض عليهِ نزعتهُ الوطنية . وبعد قليل يفرج عنهُ فيستقبله اخوانهُ الطلبة بالهتاف . ما العمل الآن واسباب العيش قد نفدت من يديهِ ؟ يذهب الى استاذه الدكتور هرمن ويبوح لهُ بحالتهِ فيمده بقليل من المال ، ويخلع عليهِ احدى بذلهِ ويشير عليهِ بأن لا يشتغل بعد ذلك بشؤون السياسة

ينتقل ابرهيم بعد ذلك الى السكن في شبه اسطبل في الروضة ويكب على دراسة المؤلفات الطبية على حصير . واذ كان في احد الايام مكبًّا على الدراسة ، سمع صياحاً وصراخاً في الخارج فعدا الى صاحب الصوت فعلم ان سيدة انكليزية نبيلة ، كانت تزور البرنس علي بصحبة زوجها ، فلدغتها حية . فلم يفقد رباطة الجأش ، في تلك الساعة الحرجة ، وأنقذ حياة السيدة فلما عرض عليهِ مبلغ من المال لقاء خدماتهِ رفض بإباء وشمم . فأحفظ ذلك الرفض صدر الامير عليهِ اولاً ولكن الامير ، اعجب بصراحة ذلك الفتى واخلاصهِ بعدئذٍ وقطع لهُ مبلغ جنيهين كل اسبوع ليقوم على معالجة كبده

ويختم هذا الفصل بحادث طريف . كان البرنس طاهر نسيب البرنس علي صيَّاداً ماهراً . فاصطاد في احدى رحلاتهِ بماماً « غوريلاً » فحاول الاستاذ لارسن ان يحوّل البام انساناً بحقنهِ حقناً تحتوي على خلاصة الغدة الدرقيّة . واذ كان الاستاذ لارسن يبسط اراءهُ في محاضرة عامة يفرُّ البام ويلجأ الى دار الآثار المصرية . فيلحق بهِ الاستاذ الى داخل الدار ، ويحاول ان يستدرجهُ ليقبض عليهِ ولكن البام الحنق يضمُّ سيّدهُ ويضغط عليهِ فيكسر اضلاعهُ . فيطلق عليهِ الناس الرصاص من نافذة ويقتلوهُ

وهذه الحادثة ، سخرية بارعة يجب ان يقرأها فورونوف وشتيناخ واضرابهما

في الفصل التالي ينبئنا المؤلف ان ابراهيم قد فاز بالشهادة الطبية ، وعيّن مساعداً اكلينيكيًّا بمستشفى قصر العيني . واليك وصف المستر تل للقهرمانة (رئيسة الممرضات) : كان وجهها

كبيراً مرافقاً . وقلبهُ كأنهُ من حديد . وقالت لانخشى ان تلكم اذني احد عندما يقتضي الامر ذلك ، ولو كانت اذني مريض او مريضة » . وهذا صحيح . واحب ان اضيف انها كانت لا تخشى ان تلكم اذني طبيب كذلك اذا اقتضى الامر

يحدثنا المستر تل ان الدكتور ابراهيم كان صديقاً للقهرمانة ، التي كانت تقدم له شراب الوسكي ، وعلمتهُ ان يدخن الافيون . ولما كنتُ قد تلقيت علومي في قصر العيني فيجب عليَّ ان أصرّح ان مثل هذه الصداقة بين القهرمانة وأحد الاطباء مستحيلة . فقد كان لنا استاذ لعلم الباثولوجيا ، نحبهُ ويعطف علينا . فاقترفنا ذنباً لا يغتفر في احد الايام اذ دعانا الى الشاي ، فرددنا دعوتهُ بمثلها ، والقينا في الحفلة التي اقمناها له الخطب وهتفنا لهُ هتافاً عالياً . فما انقضى زمن طويل عليه حتى اعيد ، هذا الاستاذ البارع ، الى بلاده

فالصلة بين الاستاذ والطالب في قصر العيني كانت معدومة . كان معلمونا غرباء ، ومتحنونا طغاة . ولكننا تمرّدنا على هذا الاستبداد في سنة ١٩١٩ فدعانا الدكتور الذي يدعوهُ المستر تل في هذا الكتاب « دكتور ك » كلاباً فصفعناهُ . ولكن هذا من ذكريات الماضي ، وعيوننا تتطلع الآن الى فجر جديد

لنعد الى الدكتور ابرهيم . دخل الدكتور ابرهيم الجناح الخاص بالنساء في احد الايام ، فدهش اذ وجد عزيزة في احد الاسرّة . ولكنها لم تكن وحدها . بل كان معها طفل هو وليدها . فروت لهُ قصتها بعدما انتزعت من ذراعيه وارسلت الى قصر الباشا . وكيف استباحها عباس ، وكيف طردت من القصر عندما ظهرت عليها اعراض الحمل . فعزم ابراهيم في الحال ان يبذل ما في وسعهِ لينقذها . واخيراً فاز بنقلها الى الشقة الصغيرة التي كان يقطنها مع صديقه بكر . فتنام في الحجرة التي ينام فيها ابرهيم ، وبينهما حاجز رقيق ، ولكن حبّها لابرهيم يطغى عليها ، فيقاوم ابرهيم التجربة ، لانهُ كان ينوي ان ينقذها وان يكون لها شقيقاً وحامياً . ولكن الوحش الخفيّ في صدرها ، يشبُّ عن الطوق احياناً فيدفعها الى ابرهيم وكأنها ضارعة خاضعة . الاَّ ان بطلنا جبل لا تهزه الرياح . فيبحث لها عن عمل تعمله ، في مستشفى قصر العيني ، ولكنها لا تميل الى هذا العمل ، لانها لم تستطع ان تخضع غرائزها الثائرة . الاَّ أن صاحبنا ابرهيم لا يخضع للوحش الفاغر فاه . فاما أنهُ تغلب عليه واما ليس في تكوينه ذلك النزوع العنيف . اما انا فاظن انهُ على جانب من تبتل القديسين

ولكن الحال بين عزيزة وبكر ليست كذلك . فانهما يعتقدان ان ابرهيم ليس رجلاً وعندما يجد ابرهيم صديقهُ بكر وعزيزة في حالة مشتبهة يقرعهما فيفران معاً

في الفصل الذي عنوانهُ دمنهور ، نجد ابرهيم طبيباً ثانياً في مستشفى دمنهور حيث يسود الفساد

والارتكاب واهمال المرضى . وكان الدكتور النظلي مدير المستشفى على جانب عظيم من الدعوى والغرور . وكان فاسد الخلق يقبل الرشوة حتى من المواطن . وكان ابو زرق رئيس « التمرجية » قاسي القلب مرتكباً . ان التمريض ليس صناعة الرجال . وقد آن الوقت لازالة هذه الوصمة من مستشفياتنا

يرى ابرهيم الفساد فيحاول ان يمحو اثره ولكنه يخفق في ما يسعى اليه . وعندما يضرب رئيس التمرجية يكتب تقريراً ضدهُ رئيسه ويبعث به الى الادارة الرئيسية في القاهرة . ولكن شهرته كطبيب كانت قد اخذت في الذيوع . فدعي الى مشاورة طبية مع رئيسه وطبيب يوناني ، في بيت مالي يوناني . فصحح التشخيص الذي اتفق عليه رئيسهُ والدجال وانقذ المريض من الموت بعملية جريئة . وكان هذا المريض نسيب سيدة يونانية بارعة الجمال ، عالية الثقافة ، ففاز باعجابها وما لبث ان تحول الاعجاب الى شغف متبادل . فكانت تزورهُ في داره ، وتقرأ لهُ اشعار الشعراء الكبار ، وتعلمهُ اللغة الفرنسية . ولكن نتيجة تقرير وجاءت على غير ما يشتهي . فنقل من دمنهور الى ادفو ، فكسر هذا النقل قلب صاحبته اليونانية ، فحاولت اقناعه بالتخلف والاستقالة من منصبه الحكومي . قالت انها مستعدة ان تبذل كل شيء في سبيله . بل وعدت بالانفصال عن زوجها اذا شاء . ولكن احساسهُ بالواجب اقوى من حبه فيخلفها في دمنهور ويذهب الى ادفو

كانت حياتهُ في ادفو حياة رتيبة ، لا تنوع فيها ولا سلوى . ولكن حادثاً من تلك الحوادث التي يسوقها القدر لتغير مقدرات الناس وقع لهُ . فقد كانت سفن السياح تقف في ادفو وكان في احدى هذه السفن سيدة انكليزية كان يظن انها مريضة بالروماتزم فجاء طبيبها الخاص يأخذ حقنة مورفين من الدكتور ابرهيم ليحقنها بها تخفيفاً لآلامها المبرحة . فتبرع الدكتور ابرهيم بزيارة المريضة وبعد ما فحصها أدرك أن الروماتزم ليس سبب علتها وألمها المبرح . فدعي طبيبان انكليزيان لمشاورة طبية من القاهرة فاحتقرا علمهُ ومقامهُ . ولكن السيدة الانكليزية وثقت به فعمل لها عملية جراحية عجيبة مستأصلاً ورماً كان يضغط على عمودها الفقري . وعند ما وصل زوجها من انكلترا ، وكان من كبار نبلائها ، كانت زوجتهُ قد تماثلت للشفاء ، فنقد الدكتور ابرهيم اربعمائة جنيه . ولكن مفتش الصحة طلب منهُ نصف هذا المبلغ حتى يقدم فيه تقريراً طيباً فرفض ابرهيم هذا واستقال من منصبه ثم ذهب الى انكلترا ، حيث مارس الطب عشر سنوات ، بلغ في خلالها اعلى مراتب الشهرة بين اهل الاختصاص . ولكنهُ أصيب اخيراً بالسل وعاد الى مصر . فساقهُ القدر في خلال عودته الى باريس ، حيث وجد عزيزة ترقص في احدى حاناتها الليلية (كاباريه) فعادا معاً الى مصر حيث تزوجها وأخيراً مات ورأسهُ على صدرها بعد كفاح شديد ضد المرض

هذا ملخص وجيز لكتاب أخّاذ يجب على كل مصري ان يقرأهُ